الخدعة الكبرى

محمود سالم

الخدعة الكبرى

تأليف
محمود سالم

هنـــداوي

الخدعة الكبرى

محمود سالم

الناشر مؤسسة هنداوي
المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

يورك هاوس، شييت ستريت، وندسور، SL4 1DD، المملكة المتحدة
تليفون: ٨٣٢٥٢٢ ١٧٥٣ (٠) ٤٤ +
البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org
الموقع الإلكتروني: https://www.hindawi.org

إنَّ مؤسسة هنداوي غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وإنما يعبِّر الكتاب عن آراء مؤلفه.

تصميم الغلاف: وجدان توفيق

الترقيم الدولي: ٢ ٢٩٥٢ ٥٢٧٣ ١ ٩٧٨

صدر هذا الكتاب عام ١٩٩٩.
صدرت هذه النسخة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠٢٢.

جميع حقوق النشر الخاصة بتصميم هذا الكتاب وتصميم الغلاف محفوظة لمؤسسة هنداوي.
جميع حقوق النشر الخاصة بنص العمل الأصلي محفوظة لأسرة السيد الأستاذ محمود سالم.

المحتويات

من هم الشياطين الـ «١٣»؟	٧
أبطال هذه القصة	٩
آلام مبرِّحة!	١١
في اتجاه الطائرة!	١٥
قرد الغابات!	١٩
التقرير الناقص!	٢٣
القرد صديقي!	٢٧
النائب المقتول!	٣١
مطاردات خطرة!	٣٥
الحيلة الذكية!	٣٩
القناص!	٤٣
النهاية!	٤٧

من هم الشياطين الـ«١٣»؟

إنهم ١٣ فتًى وفتاةً في مثل عمرك، كلٌّ منهم يُمثِّل بلدًا عربيًّا. إنهم يقفون في وجه المؤامرات الموجَّهة إلى الوطن العربي ... تمرَّنوا في منطقة الكهف السِّري التي لا يعرفها أحد ... أجادوا فنون القتال ... استخدام المسدسات ... الخناجر ... الكاراتيه ... وهم جميعًا يُجيدون عدة لغات.

وفي كل مغامرةٍ يشترك خمسة أو ستة من الشياطين معًا ... تحت قيادة زعيمهم الغامض رقم «صفر» الذي لم يرَه أحد، ولا يعرف حقيقته أحد.

وأحداث مغامراتهم تدور في كل البلاد العربية ... وستجد نفسك معهم مهما كان بلدك في الوطن العربي الكبير.

أبطال هذه القصة

رقم «١»: «أحمد» من مصر.

رقم «٢»: «عثمان» من السودان.

رقم «٣»: «إلهام» من لبنان.

رقم «٤»: «هدى» من المغرب.

رقم «٥»: «بو عمير» من الجزائر.

رقم «٦»: «مصباح» من ليبيا.

رقم «٧»: «زبيدة» من تونس.

رقم «٨»: «فهد» من سوريا.

رقم «٩»: «خالد» من الكويت.

رقم «١٠»: «ريما» من الأردن.

رقم «١١»: «قيس» من السعودية.

رقم «١٢»: «باسم» من فلسطين.

رقم «١٣»: «رشيد» من العراق.

رقم «صفر»: الزعيم الغامض الذي لا يعرف حقيقته أحد!

آلام مبرِّحة!

جزيرة من؟ وأين هذه الجزيرة؟

ولماذا أنا هنا؟ ومن الذي أحضرني؟

وماذا حدث لي؟ وأين كنت؟

آه ... إن رأسي يؤلمني بشدة. إنه صداع فظيع.

كادت رأس «إلهام» تتحطَّم بين يدَيها وهي تحاول تخفيف حِدة الألم الذي لا تعرف له سببًا، وانتفضت واقفةً تلتفت حولها يمينًا ويسارًا، محاوِلةً تذكُّر ما حدث لها قبل أن تستيقظ لتجد نفسها في هذه الجزيرة.

إن كل ما تراه ويحيط بها ... جديد عليها.

فلا أشجار الموز العملاقة التي يزخر بها المكان.

ولا أشجار «جوز الهند» الفارعة الطول تُذكِّرها بشيء.

وإن كان هناك شيء تذكره ... فهو أنها لم ترَ هذا المكان من قبل.

وأيضًا هذا النبع الرقراق الصافية مياهه ... والذي تحفه الأشجار القصيرة والورود من كل لون وصنف.

غير أن هذا النبع قد ذكَّرها بأنها ظمآنة ... وقد أغرتها مياهه.

فأسرعت الخطى إليه، غير عابئة بما يمكن أن تكون عليه.

وحدَّثت نفسها قائلة: ماذا سيُصيب هذا الماء النقي الذي يكشف عمَّا بالقاع من شدة صفائه؟

وإن كان به شيء ضار ... فكيف عمرت حوله الحياة هكذا ... وهو مصدر الماء الوحيد الذي أراه؟

ودون مزيد من التفكير، مدَّت كفَّيها تغترف من مياهه ... وتضع في فمها ... والعطش يزيد نهمها، فلا ترتوي، ولا تكاد تشعر بالشبع رغم كثرة ما شربت.

وشيئًا فشيئًا بدأت تستعيد كامل وعيها، وقد حرَّك الماء في جوفها شعورها بالجوع.

ولم تجد ما يصلح للأكل غير أصابع الموز العملاقة التي تتدلَّى من الأشجار المحيطة بها.

وقد كانت لذيذة الطعم جدًّا، ويكفي الواحد منها وجبة غذاء كاملة.

ومن أعلى لمحت صاروخًا يسقط في اتجاهها ... فتفادته قافزةً بمهارة بعيدًا عن موقع سقوطه ... وهي تقول: ليس مرةً ثانية.

وعند اصطدامه بالأرض أحدث فرقعةً مكتومة، فانحنت تلتقطه في سعادة لتشرب ما بداخله ... فقد كان الصاروخ ثمرة جوز هند كبيرة، وهي تحب ما بداخلها؛ ذلك السائل الذي يُطلقون عليه «اللبن».

وعلى الأرض جلست ساندةً ظهرها على جذع الشجرة صاحبة الثمرة، لتضعها على فمها وترفعها لأعلى، فتفرغ ما في جوفها.

ورنَّ في أذنَيها جملتها الأخيرة التي قالتها: ليس مرةً ثانية.

وتعجَّبت ... فماذا كانت تعني بهذه الجملة؟

هل تعني أنها تعرَّضت لسقوط ثمرة «جوز الهند» على رأسها قبل ذلك ... وأين؟ ... ومتى؟

وتساءلت: أيكون ذلك هو سبب الصداع الشديد الذي كانت تشعر به، ولا زالت تعاني من آثاره؟

وهذا يعني أنها فقدت وعيها على أثر هذه الصدمة!

إذن متى حدث ذلك؟

ومن الذي أتى بها إلى هنا؟

ومن كان معها ... أم إنها كانت وحدها؟

إنها تعرف من هي، وتتذكَّر كل شيء عن حياتها.

ونفضت فجأةً رأسها، وفتحت عينَيها على آخرهما وهي تحاول تذكُّر أحداث بعينها لتُثبت لنفسها من ناحية ... أنها لا زالت تحتفظ بذاكرتها.

ومن ناحية أخرى تحاول تنشيطها لتستطيع الإجابة على كل ما يحيط بها من علامات استفهام؟

نعم ... إنها تتذكَّر طفولتها في بيروت ... تتذكَّر جبال الأَرْز والجليد الذي يُغطِّيها في الشتاء، فيُحيلها إلى قطعة كبيرة من القطن.

تتذكَّر جيدًا «صيدا» وشاطئ البحر الأبيض.

تتذكَّر جدتها العجوز ... لا ... لم تكن عجوزًا ... إنها كانت تراها كذلك بعيون طفلة.

ووضعت يدها على رأسها الذي عاوده الألم وهي تقول: آه يا «إلهام» ... أنت لا زلت طفلة.

واستطردت تقول: نعم ... أنا ما زلت طفلة ... فلا زلت أحلم بعودة أبي وأمي من المهجر إلى بيروت لنعيش سويًّا هناك، وأتأبط ذراع «شادي»، لقد أوحشتني كثيرًا يا «شادي».

كانت هذه آخر جملة تقولها قبل أن تروح في نوم عميق.

وعندما استيقظت ... كان النهار قد انتصف، والشمس في كبد السماء تبدو من بين أوراق أشجار الموز المتعانقة ... وكأنها تتلصَّص عليها وتراقبها في نومها.

وعندما داعبت أشعتها عينَيها ... وضعت ذراعها عليها في تثاقل.

غير أنها شعرت بأن الأرض تحتها تهتز.

ولم تستطع تحديد سبب ذلك؛ إن كان زلزالًا ... أم بركانًا يوشك أن ينفجر.

غير أن صوت عيدان الأشجار الجافة التي تتكسَّر ... وحفيف أوراق الأشجار العالي الصوت، أنبأها أن حيوانًا ضخمًا يجوب الجزيرة.

فانتفضت واقفةً تمسح عينَيها وهي تُفكِّر فيما يمكن عمله في هذا الموقف، وهل تتسلَّق إحدى شجرات الموز هذه ... أم شجرة «جوز الهند» ... التي لا يستطيع صعودها فيل ولا خرتيت.

ولكن هل تستطيع هي صعودها؟

حتى وإن كانت تستطيع، فليس ذلك حلًّا لِمَا هي فيه، وعليها أن تتصل بزملائها من جماعة الشياطين لتستعين بهم في هذا الموقف، ولكن أين ساعتها؟ إنها لا ترتديها، وليس معها وسيلة اتصال أخرى.

وأخيرًا رأت أن تصعد إحدى أشجار الموز، لا للاختباء، ولكن ... لاستطلاع المكان حولها، ومعرفة منافذه، والوقوف على ما به من كائنات حية غيرها.

وبخفة القطط ومهارة الفهود، تسلَّقت أقرب شجرة موز لها ... ففوجئت بجلبة شديدة، وكائن يقفز تاركًا الشجرة متنقِّلًا إلى غيرها.

وحين أمعنت النظر فيه، همست قائلةً في نفسها: آه قرد ... نعم قرد ضخم ... فالشجرة ضخمة، وأصابع الموز ضخمة! وإن كل ما في هذه الجزيرة ... ضخم.

وحرَّك ما رأته «إلهام» في نفسها مشاعر الشك في يقظتها وقدرتها على التركيز ... وأثار في نفسها تساؤلات أخرى عن حقيقة ما ترى ... وهل هو بهذا الحجم الذي تراه حقًّا ... أم إن الإعياء قد أصابها.

فالأشخاص ضخمة، والثمار ضخمة، والقرود ضخمة، والأصوات التي سمعتها مبالغ فيها، فهل كل ذلك حقيقي؟ أم إن هناك من يقصد ذلك؟ ... أم إنها تتوهَّم كل هذا؟

وشعرت بدوار يكاد يُسقطها، فأسرعت بالنزول غير عابئة بمصدر الصوت ... وما كادت تجلس ساندةً ظهرها على جذع الشجرة حتى راحت في غيبوبة عميقة.

في اتجاه الطائرة!

على الجانب الآخر لم يكن «أحمد» أحسن حالًا من «إلهام»؛ فقد كانت قدماه تؤلمانه بشدة، ورأسه أيضًا ... ورغم وعيه لِمَا حوله إلا أنه لم يتذكَّر كيف أتى إلى هذا المكان.

وتحامل على نفسه جاهدًا حتى تمكَّن من الوقوف، مستندًا على أحد فروع الأشجار الملقاة بجواره ...

ودار دورةً واسعة في المكان، مستطلعًا تفاصيله التي ذكَّرته شيئًا فشيئًا بالحادث الذي أتى به إلى هذا المكان.

إنه ليس وحده هنا؛ لقد كان معه «عثمان» و«إلهام»، فأين هما الآن؟ لقد كانا يستقلان معه طائرةً مروحية صغيرة يدورون بها فوق الجزيرة ... وكانت المهمة هي محاولة إنقاذ رجل صناعة عربي كبير من القتل.

وكان رقم «صفر» قد كلَّفهم بالمهمة، بعد أن وصل للسلطات الأمنية عدة رسائل تهديد بالقتل من رجل الصناعة المدعو «أدهم»، وكان قد عثر عليها في أماكن مُتفرِّقة من مملكته ... فمنها ما وجدوها في مكتبه، ومنها ما وجدوها في غرفة نومه ... والمثير في الأمر أنه وجد إحدى هذه الرسائل في جيب سترته.

وقد أجرت السلطات الأمنية تحريات دقيقةً عن كل المحيطين به، وكل المتعاملين معه، حتى العاملين في بيته لم يُستَثنوا من هذه التحريات.

أمَّا لماذا حضروا إلى هذه الجزيرة؛ فلأنها ... لأنها ...

وشعر بدوار شديد ... وصداع يكاد يفتك برأسه ... ولم يفلح معه ما تعلَّمه من أساليب العلاج الطبي بتدليك الجبهة وغيرها ... فقام بتقشير أغلفة بعض أفرع الأشجار، وصنع منها حبلًا، ربط به رأسه رباطًا محكمًا حتى جحظت عيناه، ثم ترك نفسه ليسقط

جالسًا مكانه ... فوجد بالمصادفة إصبع موز كبير ملقًى بجواره، ففحصه جيدًا قبل أن يقوم بتقشيره وابتلاعه في نهم، يدل على شدة جوعه.

وشعر أن الصداع تخف حدته، فقام بالبحث عن إصبع موز آخر، فاكتشف أن أوارق الشجر التي تغطِّي الأرض حوله، تخفي تحتها الكثير منه.

فأشبع جوعه؛ ممَّا جعله يحتاج للماء، وهذا ما لم يرَ له أثرًا ... فانتظر حتى رأى أسرابًا من الطيور الصغيرة تتجه إلى مكان بعينه، فراقبها وتحرَّك خلفها حتى وصل إلى نبع الماء، وعندما رآها تشرب في سكينة اطمأن إلى أن الماء صالح للشرب، فروى ظمأه وجلس يتابع حركتها حول النبع، وهو يسأل نفسه قائلًا: أليس في هذه الجزيرة حيوان واحد؟!

إن كل ما رآه هنا أشجار وطيور فقط!

ولم يكد يُتم جملته حتى لمح ثعبانًا جميل الألوان، لكنه ضخم للغاية يقترب من الماء في حذر، وبجوار النبع التف حول نفسه، ثم مدَّ رأسه إلى الماء ليشرب.

فامتنع «أحمد» عن الحركة، وأرهف حواسه يُتابع في شغف حركته في حذر حتى لا يُقلقه ... ومضت لحظات كالدهر ... قبل أن يفرد الثعبان جسمه، فتجحَّظت عينا «أحمد»؛ فقد رأى أنه يزيد على الخمسة أمتار طولًا.

وتعجَّب حين رآه يغوص تحت الماء وكأنما قد استهوته برودته ... وظلَّ يراقبه وهو يتحرَّك جيئةً وذهابًا، في دوائر حينًا، وفي خطوط متعرجة حينًا آخر ... وفجأةً مرق كالسهم بعيدا، واختفى في لمح البصر ... وترك «أحمد» شاردًا غير مصدِّق لِمَا حدث.

وأخرجه من شروده ما شعرت به «إلهام» من قبل اهتزاز الأرض، وصوت احتكاك جسم ضخم بأوراق وأفرع الأشجار.

ولاحظ أيضًا أن سطح الماء يضطرب، فلم يبرح مكانه، وانتظر ليرى صاحب الجسم المهول الذي سبَّب كل هذه الضوضاء.

إلا أن الوقت طال، وانتصفت الشمس في كبد السماء، ولم يظهر أثر لذلك الكائن الخرافي.

وبدأ هو يستعيد كامل لياقته ... فخلع الحبل عن رأسه، ونهض يجري بجوار النبع، ويقفز لأعلى، ويقوم ببعض الحركات السويدية لينشِّط دورته الدموية ... ثم عاد إلى مكانه الأول، وسار يتفحَّص الأرض بعناية، مستعينًا بعصًا من فروع الأشجار، يقلب بها كل ما يجده في طريقه من أوراق وفروع، باحثًا عن ساعته وأجهزته الدقيقة، التي لا يستغني عنها.

وقد كان البحث شاقًّا ... فالأرض في هذا المكان مفروشة بأوراق الأشجار الصفراء والفروع الجافة.

وبالطبع لم يصل إلى شيء، وكان عليه أن يبحث عن «إلهام» و«عثمان»؛ حتى يقرِّروا سويًّا ما سيفعلونه.

وقد يجد أحدهما محتفظًا بأجهزته المعاونة، فيسهِّل عليه الاتصال بالمنظمة وبالسيد رقم «صفر». وبالطبع يتطلَّب منه ذلك إعداد خطة تحرُّك؛ فالمكان حوله غير محدَّد المعالم.

وأول بند في هذه الخطة، هو محاولة تذكُّر آخر موقف لهما سويًّا ... وكان ذلك يحتاج منه أن يقدح زناد فكره ... فرأى أنه إذا فكَّر بصوت عالٍ قد يصل إلى ما يريد.

فغمغم قائلًا: لقد كُنَّا في مطارة ما ... نعم ... نعم ... ولكن نُطارد من؟

وهل كنا نطارده معًا ... أم طاردناه حتى وصلنا إلى هنا؟

نعم ... أكاد أتذكَّر.

السيد «أدهم» كان هناك من يهدِّده بالقتل.

لقد قمنا بالتحري عن كل المحيطين به ... وبمراقبتهم في دأب، ولم نلاحظ شيئًا غير عادي.

آه ... لقد بدأت أتذكَّر ... لقد كُنَّا في طائرة ...

طائرة صغيرة ... وكنت أقودها أنا ... وبجواري كانت تجلس «إلهام» ... وكان يجلس خلفي «عثمان» ...

ونفد الوقود فوق هذه الجزيرة.

وكنت أنا آخر من قفز من الطائرة ...

وقبلي قفزت «إلهام» بناءً على أوامري.

لقد كانت من أول القافزين، ومن بعدها كان «عثمان» ...

لم تكن بالطائرة مظلات ... تُرى، ماذا حدث لـ «إلهام»؟

لقد قفزَت من ارتفاع كبير، ولكنها اعتمدت على سقوطها فوق تلال أوراق الأشجار الجافة التي تغطِّي الجزيرة.

فقد رأتها بمنظارها ... ورأيتها أنا ...

وأمرتها بالقفز، فقفزت، وبعدها بدقيقتَين تقريبًا قفز «عثمان».

إذن فـ «عثمانً لم يلتقِ بها حتى الآن.

وأين سقطت الطائرة إذن؟

سيكون أمرًا رائعًا لو أن «إلهام» و«عثمان» التقيا عند الطائرة.

إذن ... ستكون حركتي في اتجاه الطائرة ... فالبحث عنها سيوصلني إليها ... ولكن كيف أجدها؟

الأمر يحتاج لأجهزة حديثة.

وظل «أحمد» يفكِّر بصوت عالٍ باحثًا عن طريقة تمكِّنه من العثور على الطائرة، غير السير على غير هدًى.

فالسير في الجزيرة ليس بالأمر الهين ... لِمَا يغطِّي أرضها من أوراق الأشجار والفروع ... وإن لم يكن هذا، فهناك الأوحال والمستنقعات التي تكوَّنت من تسرُّب مياه النبع، وتحوَّلت إلى بحيرة صغيرة، تغطِّيها الطحالب الخضراء، فتُحوِّلها إلى شَرَك.

قرد الغابات!

الوحيد الذي كان موجودًا بجوار الطائرة، هو «عثمان» ...

إنهم يطلقون عليه قرد الغابات؛ لمهارته في العيش فيها، وسرعة تحرُّكه على أرضها، وتسلُّق أشجارها ...

إنه أقدر الشياطين على فهم طبيعة الغابات ... والتعامل معها.

إنه يستطيع الانتقال من شجرة إلى شجرة، دون أن تطأ قدمه الأرض.

حتى إن أمهر القرود تغار منه، إذا ما رأت مهارته في القفز.

وقد استطاع العثور على الطائرة ببساطة وسرعة.

وذلك بأن تسلَّق شجرة جوز هند عاليةً للغاية، مثل أي قرد.

فأصبحت بالنسبة له برج مراقبة مكَّنته من كشف الجزيرة كلها.

وأول ما رآه هو الطائرة ... وطبعًا لكبر حجمها.

أمَّا «أحمد» و«إلهام» ... فلم يتمكَّنا من العثور عليها ... لكثافة أوراق أشجار الموز، وغيرها من الأشجار المتشابكة الفروع.

ولكن المثير أنه عثر على ساعتَيهما الإلكترونيتَين، والتي يستخدمانهما كأجهزة اتصال أيضًا ... وقد تمكَّن من ذلك لسببَين، هما:

أولًا: إن ساعته لم تضِع منه.

ثانيًا: إن الطائرة بها كل ما يحتاجه من أجهزة.

الأهم من هذا وذاك ... أنه في غاية الذكاء، ويعرف كيف يستفيد ممَّا لديه من أجهزة؛ فعندما أراد الاتصال بـ «إلهام» ولم تردَّ عليه ... أدار جهاز الرادار الخاص بالطائرة ... وتتبَّع الإشارات الصادرة عن ساعتها وقت اتصاله بها.

وقد مكَّنه ذلك من العثور عليها وعلى ساعتها أيضًا.

وعرف وقتها أن وسيلة اتصالهم بالعالم قد انقطعت ... وأن عليه هو أن يحاول العثور عليها بما لديه من إمكانات، وقَّرها له عثوره على الطائرة.

وقد اكتشف «عثمان» أن «أحمد» قفز من الطائرة قبل أن ينفد وقودها تمامًا ...

وكان من الممكن أن تنفجر لو أنها سقطت على أرض صلبة.

غير أن أشجار الموز قد تلقَّفتها بأوراقها المتشابكة، وساعدت على بقائها بحالتها، عدا بعض التلفيات بالأجنحة.

وقد اطمأن «عثمان» بنفسه على محرِّكها حين أداره.

في الوقت الذي ظنته «إلهام» فيلًا ضخمًا.

وظنه «أحمد» حيوانًا خرافيًّا.

لقد كان يحاول الوصول إلى وسيلة يغادرون بها الجزيرة.

فها هي مياه المحيط تحيط بهم من كل جانب.

وليس بالجزيرة كلها ما يُمكِّنهم من مغادرتها.

ومنذ الصباح، وهو يحاول الاتصال بالمنظَّمة، أو بأقرب ميناء لهم ... فلم تنجح له محاولة واحدة.

وفي نفس الوقت، كانت عيناه على السماء يَقِظة ... وأذنه منصتة ... فقد تمر فوقهم طائرة ... فيقوم بالاتصال بقائدها.

أو يلفت نظره بإشعال بعض أغصان الأشجار الجافة.

أو تفجير عبوات مملوءة من وقود الطائرة ... ولكن ها هو الوقت يمر ...

فلا نجح اتصال، ولا مرَّت طائرة.

ولم يعد أمامه غير أن يعتمد على ما بين يدَيه من إمكانات.

وقبل ذلك عليه أولًا أن يعثر على زميلَيه التائهَين في الجزيرة.

لذلك كان يحاول إدارة الطائرة، أو إصلاح ما بها من عطل ... فقد يمكنه التحليق بها ولو لفترة قصيرة، ثم يهبط مرةً أخرى.

ويكون «أحمد» قد رآها في هذه الأثناء، وكذلك «إلهام».

فيعرفان أين هبطت، ويستطيعان الوصول إليها، ويلتقون ثانية.

إلا أنه لم يصل معها إلى شيء حتى الآن، ورأى أنها تحتاج لمهارة «أحمد» ... فلديه خبرة كبيرة في التعامل مع هذا النوع من الطائرات.

وتحوَّل الموقف إلى فزورة ... فالوصول إلى «أحمد» يحتاج إلى الطائرة، وإطلاح الطائرة يحتاج إلى وجود «أحمد».

ولم يعد لديه وسيلة غير إشعال حريق كبير ... يلفت أنظارهما، فيتحرَّكان في أثره.

إلا أن هذا الحريق يجب أن يمتد لمساحة كبيرة نسبيًّا، ويستخدم فيه وقود الطائرة؛ لأنه رأى مساحة الجزيرة وهم محلِّقون في الجو، وهي لا تقل عن أربعة كيلومترات مربعة.

ممَّا يعني أن وصول ألسنة الدخان لكل أطرافها ... أمر محتمل وليس أكيدًا ... والأمر الأكيد حقًّا ... أن حريقًا في هذا الحجم ... قد يمتد إلى باقي أنحاء الجزيرة، ولا يمكن السيطرة عليه ... وبهذا يتحوَّلون إلى شواء لا حول له ولا قوة.

يا آه.

قالها «عثمان» في زفرة يأس ...

ثم غمغم قائلًا: العجيب أن عدد الحيوانات في هذه الجزيرة قليل جدًّا!

فأنا لم أرَ حتى الآن غير ذلك القرد الفَزِع، الذي دخل يختبئ في الطائرة ... فوجدني، فخرج يصرخ فزعًا، وهرول بعيدًا.

ثم استطرد يسأل نفسه قائلًا: تُرى ما الذي أفزعه؟ ... وأين هو الآن؟

آه، لو كان هنا الآن لأمكنني الاستفادة منه في الوصول إلى «إلهام» و«أحمد».

ولم يكن القرد بعيدًا عن «عثمان»، بل كان يجلس فوق ذيل الطائرة ... مختبئًا بين أفرع شجرة موز ... منشغلًا في التهام سندوتش حصل عليه من الطائرة، أثناء انشغال «عثمان» عنها.

ولو كان قد رآه «عثمان» ... لأُعجِب جدًّا بمنظره، وهو يغلق عينًا من عينَيه في رضًا واستمتاع بما يأكله ... وبالأخرى يراقب «عثمان» جيئةً وذهابًا ... في استمتاع أيضًا ... وكأنه شعور متبادل بينهما ... فكلٌّ منهما يرتاح للآخر ... وكل منهما يحتاج لوجود الآخر ... وفي محاولة أخرى لإدارة الطائرة للحفاظ على شِحنة البطاريات حتى لا يصيبها التلف ... علا صخب محرِّكها ... واهتزت اهتزازًا شديدًا.

ووسط كل ذلك سمع صوت صراخ عالٍ لا ينقطع ...

فأوقف المحرِّك، وأسرع بالخروج ليستطلع الأمر، فوجد القرد يقفز كاليويو واضعًا يدَيه على رأسه، ولا يكف عن الصراخ.

فانشرح صدره جدًّا لوجوده، ولم يتمالك نفسه من الضحك.

وكان أول لقاء ودي بينهما ... حيث مدَّ له «عثمان» يده بسندوتش ممَّا لديه من رصيد.

فتردَّد القرد كثيرًا قبل أن يقترب منه ويخطفه.

وعندما جلس بعيدًا يأكله، اقترب منه في حذر، وبيده هو الآخر سندوتش يأكله، وقد كان تصرُّفًا ذكيًّا منه؛ فقد احتفظ القرد بهدوء أعصابه، كما احتفظ بها «عثمان». وجلسا سويًّا يأكلان، بعيدَين عن بعضهما حقًّا ... ولكن ليس كثيرًا ...

ولو رآهما الشياطين على هذا الحال، ما مرَّ هذا اليوم دون تعليقات وضحكات وقفشات.

وقد دار ذلك برأس «عثمان»، وهو يتطلَّع إلى المكان حوله، ناظرًا بحذر إلى صديقه القرد، وكأنه يريد أن يسأله ... هل سنستطيع سويًّا الخروج من ذلك المأزق.

التقرير الناقص!

لم يكن الوضع في المقر السري الصغير بالهرم هادئًا كما هو الحال في الجزيرة.

بل كانت الاجتماعات بقيادة «قيس» ... متلاحقة ... وعبر شبكة الإنترنت ... اجتمع بهم رقم «صفر» من «هايديلبرج» بولاية بادن الألمانية أكثر من مرة ...

وبالطبع لم يكن أحد يعلم أنهم بالجزيرة، بل ظنوا أنهم مختطَفون.

ولكن من اختطفهم؟ ... وإلى أين؟ ... هذا ما لم يستطيعوا الإجابة عليه حتى الآن.

وفي آخر اجتماع له بهم، طلب منهم رقم «صفر» إعداد تقرير عاجل عن عملية اختطاف طائرتهم، وأيضًا اختفاء السيد «أدهم»، رجل الصناعة المعروف.

وازدحمت قاعة مركز المعلومات الرئيسية بالشياطين، وأُضيئت معظم شاشات الكمبيوتر ... وتناثرت في القاعة أصوات النغمات المختلفة التي تصاحب استعمال مفاتيح التحكُّم وإدخال البيانات.

وكان الشياطين قلقين جدًّا بعدما عثرت السلطات الأمنية على جثة السيد «أدهم» في صحراء «وادي النطرون».

لقد كان للسيد «أدهم» عدة مصانع في «مدينة السادات»، والتي تقع عند الكيلو ١٢٠ طريق مصر الإسكندرية الصحراوي ... أي بعد «وادي النطرون» بعدة كيلومترات.

لكن ذلك لا يفسِّر وجوده هناك؛ فليس له بالوادي ولا بالصحراء مصلحة أو عمل ... فما الذي ذهب به إلى هناك.

هذا بالإضافة إلى أنهم عرفوا أن الجثة وُجدت في حالة سيئة ... وبها عدة طلقات؛ ممَّا يدل على أنه قُتل منذ فترة.

فمن الذي كان مع «أحمد» و«إلهام» و«عثمان» وهم في طريقهم لركوب الطائرة؟

ألم يكن السيد «أدهم»؟

وكيف سيكون هو ... وقد وُجد مقتولًا منذ فترة؟!

وتوقَّف الجميع عن العمل ...

والتفتوا إلى «ريما» حين سألتهم قائلة: ألم يشكو الرجل من رسائل التهديد التي كانت تصله بين الحين والآخر؟

فهد: وقد قمنا بعمل اللازم وتأمينه نحن والأجهزة الأمنية الأخرى.

بو عمير: كيف يموت في صحراء «وادي النطرون»، وقد كانت آخر مرة رأيناه فيها ... وهو في طريقه للمطار مع «أحمد» و«إلهام» و«عثمان».

قيس: ومن أدراك أنهم لم يكونوا سويًّا وقتما قُتل؟

بو عمير: سويًّا كيف ... والرجل وُجد مقتولًا في طريق الإسكندرية، والطائرة التي كانت تُقل الشياطين غادرت الأراضي المصرية من يومها؟!

ريما: إذن فالذي قُتل ليس السيد «أدهم» بل رجل يشبهه؟

قيس: غير صحيح ... فالطب الشرعي يقول إنه هو!

فهد: من الممكن ألَّا يكون هو يا «قيس»؛ فالجثة وُجدت فاسدة ... ولا يمكن أخذ بصماتها.

مصباح: إذن كان لدينا احتمالان.

بو عمير: نعم ... إمَّا أن الرجل المقتول هو السيد «أدهم».

ريما: وفي هذه الحالة، يكون زملاؤنا مختطفين.

مصباح: وإمَّا لا يكون هو السيد «أدهم».

ريما: ويكون السيد «أدهم» ضائعًا بين زملائنا.

قيس: التقرير هكذا سيكون ناقصًا ...

ريما: علينا إعداده والاتصال برقم «صفر» ... ونرى.

وسجَّلت «ريما» على الكمبيوتر ليقوم بإعداد التقرير ... وقام قيس بالاتصال برقم صفر لإبلاغه بما توصَّلوا إليه ... فطلب منه إرساله على بريده الإلكتروني ليقرأه حالما ينتهي ممَّا في يده ... ورأى «عثمان» ألَّا يكتفوا بذلك، بل عليهم القيام بمزيد من التحريات عن السيد «أدهم» وعن أسرته، ومعرفة هل تسلَّموا جثته، أم لا زالت بالمشرحة ... وهل كانوا يعرفون شيئًا عن رسائل التهديد أم لا؟

أيضًا سؤالهم عن آخر مرة رأوه فيها، وهل شعروا بتغيير ما يدل على أن «أدهم» في الأيام الأخيرة ليس هو «أدهم» الحقيقي.

وكانت المهمة الأخيرة هذه ... هي مهمة «ريما».

وقد بدأتها بالذهاب إلى مقره الرئيسي في إحدى شركاته، فعرفت أن الشركة قد انتقلت إلى مالك جديد.

فحاولت أن تقابله فلم تفلح لكثرة مشاغله، كما ادَّعت سكرتيرته.

فتوجَّهت على الفور إلى حي «المهندسين»، حيث تسكن أسرة «أدهم»، فوجدت قفلًا على باب الفيلا. وعن طريق أحد البوابين بالمنطقة، عرفت أنهم غادروها قبل حادث مقتله بأيام، ولم يعودوا حتى الآن ... وقد يكون ذلك حزنًا على الفقيد، أو خوفًا ممَّا حدث له أن يتكرَّر معهم.

ورأت «ريما» أنه تفسير معقول، ولكنها عندما عادت إلى المقر السري، سمعت من «قيس» ما جعلها تعيد حساباتها كلها مرةً أخرى.

فقد أخبرها «قيس» أنه بالتحري عن زوجة السيد «أدهم»، عرف أنها أمريكية ... وأنها كانت تنوي العودة إلى موطنها مرةً أخرى بمجرد انتهاء إجازة الأولاد.

في الوقت الذي كان السيد «أدهم» يؤسِّس لنفسه عدة شركات في مصر، ويكلِّف أصدقاءه القدامى بالبحث عن أفضل المدارس التي يمكنه إلحاق ابنه وبنتَيه بها ...

وهنا أشارت له «ريما» ليتوقَّف، ثم قالت له: أرجوك، أعد الجزء الأخير من الشريط.

ابتسم «قيس»، ثم عاد يقرأ عليها تحرياته مرةً أخرى عن رغبة زوجة «أدهم» في العودة إلى موطنها، ورغبة «أدهم» في البقاء في بلده.

فقالت «ريما»: أي إن لدينا الآن طرف خيط نستطيع استغلاله.

قيس: وما هو؟

ريما: تعارض رغبات «أدهم» وزوجته.

قيس: وهل يؤدِّي تعارض الرغبات بين زوجَين إلى أن تقتل زوجة زوجها؟!

ريما: إنه ليس تعارض رغبات فقط، إنه تعارض مصالح وتقرير مصير.

قيس: تقصدين رغبتها في البقاء في موطنها؟

ريما: ورغبته في البقاء في موطنه.

قيس: ولكن ما حدث لا يمكن أن تقوم به امرأة وزوجة ... إنه أسلوب عصابات محترفة ...

ريما: أنا معك في هذا ... ولكن إذا ثبت حقًّا أن القتيل هو السيد «أدهم» ... فلن أستبعد أن تكون الزوجة قد استعانت بعصابات المافيا لتخليصها من هذه الورطة ...

قيس: عصابات المافيا ... وفي مصر؟!
ريما: ألم تقل إنها أمريكية؟
قيس: نعم.
ريما: إذن من السهل أن تتصل عن طريق وسيط بعصابات المافيا.
قيس: على أن يكون هذا الوسيط أمريكيا ...
ريما: أو عاش في أمريكا فترةً طويلة ...
قيس: ويكون صاحب مصلحة فيما حدث ...
ريما: أو يرث مثلا؟
قيس: أو يرث مكانه ...
ريما: ومكانته.
قيس: تقصدين ...
ريما: يتزوَّج زوجته!

القرد صديقي!

عندما أوشكت الشمس على المغيب، انتاب «إلهام» كثير من القلق ...

ففي الظلام تنشط حاسة الافتراس عند الحيوانات، وهي لا تعرف ماذا يخبِّئ نهار هذه الجزيرة لها ... وماذا سيُظهره ليلها.

وفي الليل أيضًا يميل الجو للبرودة ... بل البرودة الشديدة ... لصغر مساحة الجزيرة، وإحاطة الماء بها من كل جانب ...

فهل تتسلَّق إحدى أشجار الموز لتختبئ فوقها؟

إنها فكرة معقولة ... ولكنها غير آمنة ... فقد تجد عليها هذه المرة قردًا شرسًا ... لا يوافق على ترك موقعه ... وقد يتصرَّف معها بأسلوب غير لائق، وتُعرِّض نفسها معه للمخاطر ...

ورغم ذلك فالفكرة جديرة بأن تحتال لتنفيذها.

فالتقطت بعض أصابع الموز الملقاة على الأرض، وقذفت بها في قمة الشجرة ... انتظارًا لأن يبادلها أحد القرود قذفًا بقذف ... إلا أن ذلك لم يحدث؛ ممَّا شجَّعها على تسلُّقها، والتمدُّد فوقها.

وخوفًا من أن تتقلَّب وهي نائمة فتسقطَ من عليها، شكَّلت من أوراقها المتجاورة سريرًا عريضًا، وجدلته جيدًا، ثم سمحَت لنفسها بالاسترخاء عليه ... وحين غالبها النوم ... انكمشت تحتمي ببعضها من برودة الجو.

وانسحبت الشمس من السماء، وجرت وراءها أذيال الضوء، لتحل على الجزيرة ستارة سوداء داكنة من ظلمة الليل، وكأن الشمس انسحبت من الكون كله.

وساعدت برودة الجو على استقطاب تلال السحب المحمَّلة بالماء ... لتتوقَّف فوق الجزيرة، وتُلقي بكل ما لديها من ماء ...

وشعرت «إلهام» بشيء مبتل يحتك بقدمَيها ... فلم تصدِّق في أول الأمر، واستسلمت لتعبها، وعادت لنومها.

غير أن تكرار احتكاك هذا الجسم بقدمَيها وهو يرتجف بشدة، جعل النوم يطير من عينَيها ...

وأعادها إلى كامل وعيها زمجرة الرعد الشديدة.

وعلى ضوء البرق، تمكَّنت من معرفة صاحب الجسم المبتل الذي يحاول الاحتماء بها من البرد والمطر ...

ومع تكرار الرعد، ازداد التصاقًا بها ... ومع تكرار البرق، لمحت في يده سندوتشًا، ممَّا أثار انتباهها ودهشتها ... ورغبتها في معرفة نوع هذا السندوتش ... وهل هو طازج أم إنه موجود في مكان ما على الجزيرة منذ زمن؟

ولكي تحصل منه على السندوتش، مدَّت يدها له بإصبع موز ...

ولدهشتها، فقد اقتطع منه جزءًا، ومدَّ لها يده به في ود بالغ ...

وما إن أمسكته وفتحته ورأت ما به، حتى عرفت أنها قريبة من «أحمد» أو «عثمان» أو ... الطائرة.

وكما سكبت السحب الماء ... منعته ...

وكما قدمت ... رحلت؛ لتكشف الستار عن لوحة السماء والنجوم والقمر، ممَّا أدخل السكينة في قلب «إلهام» ... فاستسلمت للنعاس، وراحت في نوم عميق ... على الناحية الأخرى كان «عثمان» يريد أن يعرف أين ذهب هذا القرد؛ فوجوده في هذا المكان يعني أن له زوجةً وأولادًا ... وسرقته للسندوتشات وجريه بها دون أكلها، يؤكِّد ذلك الاعتقاد.

ودورانه حول الطائرة كل فترة، ومراقبته له من بعيد، قبل أن يختفي ليظهر مرةً أخرى ويعاود مراقبته، يعني أنه يتأكَّد من وجوده بعيدًا عن بيته وصغاره ... وما يفعله معه، سيفعله أيضًا مع «أحمد» و«إلهام»، وهذا ما يجعله أهم دليل للوصول لهما.

ولكن لم يكن في حسبانه وهو يطارده أنه سيشعر به، ويتخذ حذره ... ويقطع الطريق متنقِّلًا بين أشجار، مختفيًا عن عينَيه، فيفقد أثره، ويعود مهزومًا، غير أن الظلام قطع عليه طريق العودة.

ومثلما فعلت «إلهام» فعل هو ... واتخذ من إحدى أشجار الموز فندقًا للمبيت، حتى يطلع الصبح ويعود للطائرة ...

غير أن برودة الجو وهطول الأمطار لم تتركه على حاله ...

فعندما عادت الشمس للجزيرة ... كان جسد «عثمان» يرتجف ... ودرجة حرارته تقترب من الأربعين درجة ...

وعندما كانت «إلهام» تتسلَّق شجرة الموز هابطةً إلى الأرض، سمعت صوت سعال «عثمان» يرن في أذنَيها ... كأجمل ما سمعت من موسيقى، وعرفت أنه قريب جدًّا منها.

وليس عليها إلا أن ترهف سمعها ... وتُنصت جيدًا إلى أن تسمعه مرةً أخرى ... فيمكنها تحديد موقعه ...

ولفرط سعادتها لسماع صوت «عثمان» وانشغالها به، لم تلحظ الواقف بجوارها، وينظر إليها في ود بالغ ...

وعندما التفتت إليه من غير قصد، والتقت عيناها بعينَيه ... لم يطل النظر فيهما ... بل أغمض عينَيه، وكأنه لم يستطِع أن يقاوم جاذبيتها.

ورفع يدَيه يمسكها من يدها، ويسير بها، وهي تاركة نفسها له كالطفل المطيع؛ فقد شعرت أنه لديه ما يريد أن يطلعها عليه ...

ولم يطل بها المسير ... وتحت شجرة موز عملاقة ... استوقفها، ونظر إلى أعلاها ... فرفعت «إلهام» عينَيها لترى أجمل ما رأت ...

إنه «عثمان» ... قالتها في فرح، وكأنها تزف خبرًا سارًّا إلى عزيز لديها.

ولم تكن فرحة القرد بابتسامة «إلهام» ... أقل من فرحتها بالعثور على «عثمان».

وقد شعرت بذلك حين رأته يجلس القرفصاء ... وينقل عينَيه بينهما ... فقالت له: يا لك من قرد ذكي ... وجميل! ...

أطرق القرد برأسه في الأرض، فقالت له: ياه، أنت قرد خجول أيضًا.

ولكن، هل تفهمني حقًّا؟

أعرف أنك لا تفهم كلامي، ولكنك تفهم ما يدور حولك ... و... ما يدور برأسي ... أليس كذلك؟

تعرف ما يدور برأسي الآن؟

أنا أريد إنزال «عثمان» من فوق الشجرة ...

فهو مريض ... ولن يستطيع النزول وحده.

عثمان: لا يا «إلهام» ... بل سأستطيع النزول.

لم تملك «إلهام» نفسها من الفرحة عندما سمعت «عثمان» يقول ذلك ... وأطلقت ضحكةً جزلى.

ثم قالت: لقد سمعتك تسعل سعالًا شديدًا، فحسبتك قد أُصبت ببرد.

فقال لها وهو يتسلَّق الشجرة نازلًا: وهذا ما حدث بالضبط.
إلهام: ولكني أرى أنك أفضل.
عثمان: الفضل في ذلك للشمس والموز.
إلهام: واعتيادك على الأدغال.
عثمان: نعم ... ولكن أين «أحمد»؟
إلهام: ألم تصل إليه ...
عثمان: ليس بعد ...

النائب المقتول!

أذاع التليفزيون المصري في نشرته المسائية أن البوليس عثر على جثة نائب رئيس مجلس إدارة شركات السيد «أدهم» ملقاةً على شاطئ نيل المعادي، في حالة سيئة ...

ومن المعاينة المبدئية، اتضح أنه مات مقتولًا برصاصتَين؛ إحداهما بالرأس، والأخرى بالصدر. وأن القتل حدث منذ ما يقرب من خمسة أيام ... وقد أثار هذا الحادث اهتمام الشياطين في المقر السري الكبير والصغير جدًّا؛ فتوقيته قريب من حادث مقتل السيد «أدهم»، إن كان هو الذي قُتل ...

ورأى «قيس» أن يعقد اجتماعًا عاجلًا لمناقشة مدى علاقة هذا الحادث بقضيتهم، ووافقه الجميع على ذلك.

إلا أن المجموعة التي كانت موجودةً بالمقر السري الكبير، طلبت منه أن يحضروا الاجتماع عبر شبكة الإنترنت.

غير أنه لم يوافق على ذلك ... وأصرَّ على أن يغادروا الصحراء الغربية فورًا، ويتوجَّهوا إلى القاهرة.

فطلبوا منه إبلاغ ذلك لقيادة المنظمة.

ولم تمر ساعة إلا وكانت سياراتهم تنطلق في اتجاه القاهرة، بعد أن سمحت لهم قيادة المقر بذلك ...

ومن «هايديلبرج» اتصل رقم «صفر» يطلب منه إعداد تقرير عمَّا استجدَّ من أحداث ... وعن رؤاهم لمدى علاقة ذلك ... بقضيتهم الأخيرة.

فعرف منه بأمر الاجتماع الذي سيُعقد في صباح اليوم التالي ... وطلب منه سرعة التحري عن النائب المقتول ... ورغم أن الوقت كان متأخرًا ... إلا أن «قيس» غادر المقر السري إلى منزل النائب، وفي جيبه ملف كامل عنه ...

وأول ما لفت نظر «قيس» في بياناته الشخصية، أنه كان يسكن في العمارة المجاورة لفيلا السيد «أدهم» ... فأبدل ملابسه في الطريق، وارتدى الزي الوطني السعودي (الجلباب والعقال).

وعندما وصل إلى العمارة التي تقع بها الشقة ... كان مظهره يبدو كسائح سعودي ...

وما إن رآه بواب العمارة يفتح باب سيارته، حتى انتفض واقفًا، مرحِّبًا به بحفاوة بالغة، عارضًا عليه خدماته ... فمدَّ يده في جيبه، وأخرج رزمة ريالات ورقية ... سحب منها ورقةً بعشرين ريالًا دسَّها في جيبه ...

فأخذها الرجل شاكرًا وهو يقول: أي خدمة يا شيخ. اؤمرني ...

قيس: كيف حالك يا أخي؟

الرجل: يديك الصحة يا شيخ ... اؤمرني.

قيس: أريد سمسارًا.

البواب: أمر يطاع يا شيخ.

قيس: هل أنت سمسار؟

البواب: أيوه يا بيه ... اؤمر ... شقق مفروشة ... تمليك؟

قيس: في نفس المنطقة؟

فقال البواب وهو يشير على العمارة التي يقصدها «قيس».

البواب: في العمارة دي يا بيه ...

فرفع رأسه يتفحَّصها والبواب يقول له: أمرك، عمارة فخمة يا بيه، وكل سكانها عرب وأجانب.

قيس: والشقة في أي طابق؟

البواب: نعم ...

غادر «قيس» السيارة، في الوقت الذي فتح فيه البواب باب المصعد ...

وعندما رآه، أفسح له الطريق وهو يقول: اتفضل يا شيخ؟

قيس: «عبد العزيز»، «عبد العزيز بهادر» ...

ثم قال له: وأنت ما اسمك؟

البواب وهو يربت على صدره تعريفًا لنفسه: «فرج» يا شيخ ... «فرج».

كان المصعد قد وصل إلى الطابق الثالث، فتوقَّف وانفتح بابه ... فغادره بظهره ممسكًا بالباب لـ «قيس»، الذي طلب منه التوجُّه إلى الشقة ...

أخرج الرجل حلقةً معدنية مكتظة بالمفاتيح، فاختار أحدها.

وفي ثقب مفتاح باب الشقة رقم عشرة ... وضعه ثم أداره ... وانفتحت الشقة ...

وكان الظلام بها حالكًا، فمدَّ البواب يده قبل أن تطأ قدمه ... وضغط زر النور، وعم النور المكان، في الوقت الذي سمعوا فيه جلبة، وأقدامًا تجري في اتجاه المطبخ، وصوت أوعية تتناثر هنا وهناك.

وكالصاروخ انطلق «قيس» في أثر الصوت ... وهو يسأل البواب إن كان بالمطبخ باب يؤدِّي إلى سلم الخدم. وقبل أن يسمع إجابته سمع صوت أقدام تُهرول على السلم، ورأى بابًا بأقصى المطبخ مفتوحًا ...

فجرى في أثره ... وحاول اللحاق به، وأخرج مسدسه، وأطلق صوبه عدة أعيرة نارية، ولكنه لم يصبه.

فقذف بوعاء للقُمامة أثناء نزوله ... فسقط يتخبَّط على الدرجات محدثًا جلبةً عالية ...

وتوقَّف بعد صوت صدمة مكتومة ... وتوقَّفت معه الجلبة التي كان يحدثها نزول الرجل ...

فعرف «قيس» أن وعاء القُمامة أصابه في رأسه، وأنه فقد وعيه.

ذلك لأنه لم يعد يُسمع له صوت ...

فهبط الدرج في سرعة وخفة، ورشاقة وحذر ...

ولم يعقه الجلباب عن الاستفادة من مهارته في المطاردة.

ولم يكن يزعجه غير صوت البواب وهو ينادي قائلًا: يا شيخ «عبد العزيز» ... يا شيخ «بهادر»، لا تُعرِّض نفسك للخطر ... إنه لص.

وقبل أن يقبض «قيس» على اللص، كان قد استعاد وعيه ... وأخذ يجاهد لإزاحة وعاء القُمامة عن كتفه ... وشعر «قيس» أنه سيضيع منه ...

فأخرج مسدسه، وصوَّبه إليه وهو يقول: أرجو ألَّا تتحرَّك.

وأعقب ذلك بإطلاق رصاصة من مسدسه، أصابت وعاء القُمامة، فجعلت الرجل ينتفض تاركا الوعاء، وجلس مكانه بلا حركة ...

وأكمل «قيس» هبوط الدرج في حذر ... وعيناه كالفهد على ذلك اللص الهارب ... وقبل أن يصل إليه بعدة درجات قال له: أبعد عنك ذلك الوعاء ...

فامتثل الرجل لأمر «قيس»، ورفع الوعاء بقوة ... فاصطدمت به رصاصة خرجت من مسدس «قيس»، وعلا صراخه وهو يقول له: برفق.

انتفض الرجل جزعًا ... وجلس مكانه بلا حركة ...

فآثر «قيس» أن يرفع الوعاء بنفسه ... وكانت الفرصة الذهبية لانطلاق الرجل في طريق هروبه.

مطاردات خطرة!

وقبل أن يغادر العمارة، خلع «قيس» عقاله وجلبابه في سرعة ومهارة.

وقفز يركب السيارة، عندما لمح الرجل يوشك أن ينطلق بسيارة «لاند روفر» حديثة ... وعندما أدارها، كانت «اللاند روفر» تغادر الشارع وتختفي في أول منحنًى تقابله، وكلاعب الأكروبات، تفادى بمهارة عددًا كبيرًا من السيارات التي اعترضت طريقه؛ فقد كان الشارع مزدحمًا.

وخلف «اللاند روفر» انحرف دون تفكير ... غير أنه لم يرَها على مرمى بصره ... فأكمل سيره حتى بلغ نهاية الشارع. وكان أمامه طريق عرضي، عمودي على الطريق الذي يسير فيه، وله اتجاهان، يمين ويسار.

وانتابته الحيرة ... فأي الطريقَين يسلك خلف «اللاند روفر».

والدقائق تمضي، والرجل يكاد يضيع من بين يديه.

إنه يعرف أنه له علاقةً بحوادث القتل السابقة ... وأنه طرف الخيط للوصول إلى «أحمد» و«إلهام» و«عثمان» ...

ولم يستغرق «قيس» في التفكير إلا ثواني، ثم انطلق وراء شعوره وحسه، وترك لعداد سرعة السيارة العِنان، فأثار دهشة المارة في الشارع ... فقد كان يقودها كما يقود الأولاد السيارات في ألعاب الكمبيوتر ...

وصدق إحساس «قيس»؛ فقد لمح عن بعد ... وفي نهاية الطريق ... رأى السيارة «اللاند روفر» وهي تعبر كوبري قصر النيل في الاتجاه الخطأ ... والسيارات تحاول تفاديها. وعلا صوت سارينة دراجة رجل المرور النارية ... وتمنَّى «قيس» أن يصل إلى «اللاند روفر» قبله.

واخترقت الدراجة النارية صفوف السيارات، واعتلت رصيف الكوبري ... وانطلق في أثر «اللاند روفر» التي دارت دورةً واسعة حول نهاية الكوبري ... وانحرفت إلى شارع كورنيش النيل، وطاش صوابها.

ومن خلفها رجل المرور يحاول اللحاق بها ... ومن خلفهما «قيس» وقد رفع سقف سيارته «البورش» ... وصوَّب مسدسه إلى عجلات السيارة، منتظرًا أن تحين اللحظة المناسبة فيفجر إطارها ...

ففي هذه اللحظة سيترك السائق السيارة ... ويفر جريًا على قدمَيه، ولا يستطيع رجل المرور مطاردته، فيقبض هو عليه ...

وكان «قيس» لا يريد له أن يقع في أيدي رجال الشرطة ... حتى لا يضيع الوقت في الإجراءات، إلى أن يتسلَّمه هو ... أو تتسلَّمه المنظَّمة ... والدقائق مهمة في هذه المرحلة الحرجة من العملية، ولها قيمتها.

وعند مطلع كوبري أكتوبر، من ميدان عبد المنعم رياض، حانت اللحظة التي انتظرها «قيس»؛ فالسيارة عند صعودها على المطلع، أصبحت في مرمى تصويبه، ولم يعد هناك عائق بينه وبينها ...

وبالطبع لم يصعد هو الكوبري، بل سار في الشارع الموازي للمطلع، حتى صارت عجلات السيارة أمامه ... فأطلق عليها رصاصات مسدسه.

وعلا صوت انفجار إطارها ...

أعقبه صوت ارتطام الباب لإغلاقه.

وشاهد «قيس» الرجل يعدو على قدمَيه بين السيارات ... فعرف أنه أصبح بين يدَيه، فعاد بسيارته للخلف ... حتى بلغ أول مطلع الكوبري ... ثم انطلق في أثره.

وعند منزل الإسعاف ... ركن سيارته وغادرها جريًا على قدمَيه ... عابرًا الكوبري بين السيارات المسرعة في مهارة ...

مصوِّبًا مسدسه إلى الرجل، آمرًا إياه أن يجلس على قدمَيه ...

غير أن الرجل أخرج مسدسه، وسحب أمانه، وقبل أن يضغط الزناد ... طار المسدس من يده قافزًا الكوبري إلى الشارع، وهو ينظر إليه في بلاهة شديدة، رافعًا يدَيه في استسلام ...

إلا أن ما خاف منه «قيس» أن يحدث، وجده أمام عينَيه، عندما عبر الطريق إلى حيث تقف سيارته ...

فقد وجد سيارتَي شرطة تحيطان بسيارته، وبعضَ جنود القوات الخاصة يُشهرون مدافعهم الرشاشة في وجهه، وضابطًا برتبة مقدِّم يطلب منه الركوب معهم ...

ولم تفلح بطاقته الأمنية ... في تركه ليُتم مهمته.

فقد قال له الضابط: آسف جدًّا ... إنها أوامر من مدير أمن العاصمة ...

قيس: إن العملية خطيرة ... والوقت ليس في صالحنا ...

الضابط: قل هذا للسيد مدير الأمن.

قيس: فلتسمح لي باستعمال تليفوني.

الضابط: بالطبع ... ولكن أرجوك أن تركب الآن فنحن نعطِّل الحركة على الكوبري.

قيس: طبعًا ... طبعًا.

وانطلقت سيارة الشرطة تقل «قيس» والرجل المطارَد ... ومن خلفها السيارة الأخرى تحرسها. وعلى الجانب الآخر، تلقَّى ضابط الاتصال بالمقر ... مكالمة «قيس» ... ثم حوَّلها بِناءً على طلبه إلى قائد المقر، الذي وعده بالتصرُّف ...

وقبل أن تبلغ سيارة الشرطة مديرية أمن الجيزة، تلقَّى المقدم مكالمةً على جهاز اللاسلكي ... التفت بعدها إلى «قيس»، ثم قال له: يا سيد «قيس» أنت لست مقبوضًا عليك ... أمَّا هذا الرجل ...

فقاطعه «قيس»: ليست القضية عندي ... بل القضية كلها عند هذا الرجل ... فهناك زملاء لنا يهدِّدهم خطر الموت الآن، وكل دقيقة تمر ليست في صالحهم ...

الضابط: سأقوم بالتحقيق بنفسي.

قيس: القضية شائكة، وقراءة ملفها يحتاج لوقت، وأعتقد أنها ليست من اختصاصك ...

الضابط: أنا الذي أُحدِّد هذا.

قيس: لا، بل المصلحة العامة هي التي تُحدِّد، وقيادة الأمن العام.

الضابط: لقد أخذت كثيرًا من وقتي.

تعجَّب «قيس» من طريقة تعامل الضابط معه، وشعر بالشك يتسرَّب إلى نفسه؛ فهي المرة الأولى التي لا يهتم فيها رجل شرطة ببطاقتهم الأمنية.

وممَّا زاد شكه فيه ... أنه لاحظ أن الرجل المقبوض عليه ... تبدو عليه علامات الارتياح، ويجلس مطمئنًّا وكأنه قد تخلَّص من مأزق.

ولم يكن أمام «قيس» فرصة للهرب.

ولو أنه فكَّر في الاشتباك معهم، لوجدوا في ذلك ذريعةً للتخلص.

ولم يتبقَّ لديه غير حيلة من حيلهم الماكرة ... والتي قد تُنقذ ما لا يمكن إنقاذه ... فبدأ يتململ في جلسته ويتحرَّك في عصبية، حتى صرخ فيه الضابط قائلًا: لقد بدأت أفقد أعصابي ...

قيس: أمَّا أنا فقد فقدتها ...

الضابط: إنك تدفعني للتعامل معك كالمجرمين.

قيس: لن تلحق ...

الضابط: لمَ؟ ...

قيس: لن تلحق ...

الضابط: لمَ؟ ...

قيس: إن هذا الرجل ملغم ...

الضابط: ماذا تقول؟ ...

قيس: إنه يحمل قنبلةً موقوتة وهو لا يعرف.

الحيلة الذكية!

نظر الضابط إلى «قيس» في عدم تصديق ... و«قيس» يمثِّل العصبية، وحدة المزاج ... ثم نقل عينَيه إلى الرجل وسأله قائلًا: هل تحمل تليفونًا محمولًا؟

فنظر له الرجل في عدم فهم ... فصاح فيه ينهره ويأمره بالإجابة عليه ... ويتوعَّده إن لم يسرع في ذلك ...

فأخبره «قيس» أنه لا يتحدَّث العربية؛ فملامحه توحي بذلك.

فسأله بالإنجليزية ... إلا أن الرجل لم يجاوبه.

فقال له «قيس»: دعني أتفاهم معه ...

فنظر له الضابط مليًّا، ثم قال له: أيتحدَّث لغةً غير الإنجليزية؟

قيس: سنرى ...

الضابط: تحدَّث معه إذن ولكن بسرعة.

ثم أمر السائق بوقف السيارة ... حتى لا تعجِّل حركتها بانفجار القنبلة ... إن كانت موجودةً حقًّا ... وشعر «قيس» أن حيلته بدأت تؤتي ثمارها ... فقال له الضابط: لماذا لم تسأله يا سيد «قيس»؟

قيس: لو سمحت لا تصدر لي أمرًا ...

في هذه اللحظة ... شعر «قيس» أن الضابط وصل إلى ذروة انفعاله، وأنه يسهل التأثير عليه ...

وانفجر الضابط في «قيس» قائلًا: سأُلقيك من السيارة وهي سائرة ...

قيس: لن تستطيع ... فليس من سلطتك ذلك ...

فصرخ الضابط في السائق يأمره بالسير بأقصى سرعة ...

وبالفعل، انطلق السائق يسابق الريح حتى خرج بها إلى طريق «الأوتوستراد»، ففتح الضابط الباب مهدِّدًا «قيس» بقذفه خارج السيارة.

وقد كانت فرصته؛ فالضابط كان يجلس بجوار الباب، ولم يحتمل دفع «قيس» له بكل قوته …

فطار من السيارة … وسقط يتدحرج على الأرض.

وصرخ «قيس» في السائق قائلًا: الوقت الباقي على انفجار القنبلة قصير، ونريد أن نصل ميدان الرماية بالهرم بأقصى سرعة لإبطال مفعولها …

السائق: ولماذا لا نُلقيها من النافذة.

قيس: إنها مسئولية …

أطلق السائق للسيارة العِنان قبل أن يسأل «قيس» قائلًا: هل سيادتكم ضابط؟

قيس: نعم … ضابط مخابرات.

السائق: ولماذا يعاملك سيادة المقدِّم هكذا؟

قيس: تداخل اختصاصات …

السائق: لقد كان سيُضيِّعنا.

التفت «قيس» يبحث عن سيارة الشرطة التي كانت تسير خلفهم، فلم يجدها، فسأل السائق قائلًا: أين سيارة الشرطة الأخرى؟

السائق: لقد توقَّفوا ليلتقطوا الضابط، في الوقت الذي انطلقنا فيه نحن …

قيس: إذا إلى الهرم.

وهنا تحدَّث الرجل بعربية ركيكة قائلًا: بل إلى المطار …

نظر «قيس» له مندهشًا … فقد ظلَّ صامتًا طول الطريق … وتحيَّن اللحظة المناسبة ليتحدَّث، فقال له: أتفهم اللغة العربية؟

الرجل: شوية …

قيس: وإن لم تذهب بك إلى المطار؟

الرجل: سأُفجِّر السيارة.

فابتسم «قيس» وقال له: إن هذه التمثيلية من اختراعي.

الرجل: لا … ليست تمثيلية … بل حقيقة.

فنظر له «قيس» غير مصدِّق …

فكشف له عن ذراعه، فرأى قنبلةً موقوتة حديثة، ذات جهاز تحكُّم إلكتروني رقمي مثبتة على ذراعه …

فأمر سائق السيارة بالعودة في الطريق المضاد ... والسير في اتجاه المطار ...

وفي هذه الأثناء كان عقله يعمل بسرعة ...

فوصول هذه القنبلة للمطار أمر خطير للغاية ...

ولن يمنعه جهاز كشف المفرقعات من المرور ... فقد يمر منه جريًا ...

ولن يستطيع أحد اصطياده داخل المطار ... لأن الرصاصة التي ستُصيبه ستُفجِّر القنبلة ... وتؤدِّي إلى عواقب وخيمة.

ومالت السيارة ميلًا شديدًا ... والسائق يدور بها من اتجاه الهرم إلى اتجاه المطار. ووجدها «قيس» فرصة ... فقد مال معها ... فارتمى على الجالس بجواره ... ثم مدَّ يده خلسةً ففتح الباب، ودفعه بكل ما أوتي من قوة، وسحب الباب يغلقه، ثم أمر السائق أن يتوقَّف على جانب الطريق.

وأخرج مسدسه من شباك السيارة ... وصوَّبه إلى الرجل، وأطلق الرصاصة فلم تُصِبه، والرجل يجري على الأسفلت ... يحاول تفادي رصاصات «قيس» التي انطلقت إثر بعضها.

وكلما اقترب من السيارة ... يصرخ فيه قائلًا: اخلع هذه القنبلة وألقها بعيدًا. فيجيبه الرجل في صراخ هستيري قائلًا: لا أستطيع ... إن العبث بها يدمِّرها! ...

قيس: إذن فأنت ميت لا مفر ...

الرجل: لا لا ... إذا وصلت إلى المطار ومعي هذه الأوراق سيُطلقون سراحي.

قيس: أية أوراق ...

الرجل: الأوراق التي أخذتها من مكتب «قاسم».

قيس: نائب السيد «أدهم» الذي قُتل؟

الرجل: نعم ...

قيس: إذن أعطِها لي ...

الرجل: بهذا سأموت! ...

قيس: سأُعيدها لك مرةً أخرى.

الرجل: لا أصدِّق ...

فأطلق «قيس» رصاصةً بين قدمَيه ... جعلته يصرخ فزعًا، ويقول: لا لا ... ستنفجر القنبلة.

قيس: إذن فأنت تعرف أن النتيجة واحدة.

الرجل: وإذا أخذت الأوراق؟

قيس: سأعرف ما بها ... وأتركها لك لتنقذ نفسك.

الرجل: لا ... لن تتركني أدخل المطار ... لأنك لا تثق فيَّ ...

قيس: سأدعك تدخل المطار ... لا لأني أثق فيك ... ولكن لأقبض على من ينتظرونك ...

ثم أطلق بين قدمَيه رصاصةً أخرى ... لينزلق الرجل على الأسفلت.

فيقول السائق لـ «قيس»: قد تنفجر القنبلة هكذا، وقد يلحق بنا سيادة المقدِّم.

قيس: الموقف خطير ... ولا مفرَّ منه ...

وعندما رآهما الرجل يتباحثان، ظن أنهما يتفقان على أنهما يتخلَّصان منه ... فصرخ قائلًا: ها هي الأوراق ... ها هي الأوراق ...

فطلب «قيس» من السائق التوقف ... وأخرج يده من الشباك ... وبها المسدس الذي صوَّبه إليه وهو يقول: ضع الأوراق في الشباك الآخر.

القناص!

كان الوصول لـ «أحمد» أسهل من البحث عن «إلهام»؛ فقد عرف القرد هذه المرة المطلوب منه، وكان لقاء ثلاثتهم رائعًا ...

وبالقرب من الطائرة ... استفادوا من تجاوز أشجار الموز ... وصنعوا كوخًا جميلًا ... نقلوا إليه كل أمتعتهم من الطائرة ...

ثم شرعوا في إصلاحها سويًّا ... وبين الحين والآخر ... كانوا يقومون بإدارة محرِّكها ... لشحن البطاريات ... والحفاظ عليها في حالة جيدة.

غير أنهم في هذه المرة، سمعوا صوت محرِّك طائرة أخرى يأتي من بعيد ...

وظنته «إلهام» في أول الأمر صدى لصوت محرك طائرتهم ...

إلا أن «عثمان» كذَّب ذلك قائلًا: لقد أدرت المحرك أكثر من مرة، ولم أسمع لصوته صدًى.

أحمد: إذن هناك طائرة في طريقها إلينا؟

عثمان: ومن يعلم أننا هنا؟

إلهام: أم تقصد أنهم يبحثون عنا؟

عثمان: إمَّا هذا وإمَّا ...

أحمد: إن أفراد العصابة يريدون التأكد من موتنا.

إلهام: قد يكون صوت المحرك هو الذي اجتذبهم.

عثمان: وأين سمعوه؟

أحمد: هناك جزيرة غير بعيدة عنا، مررنا عليها في طريقنا إلى هنا.

إلهام: وما الذي جعلنا ننزل في هذه الجزيرة؟

أحمد: تعطَّلت أجهزة الملاحة ... وخِفت من نفاد الوقود وأنا أسير على غير هدًى ...

عثمان: وبالطبع هم الذين عطَّلوها؟

أحمد: بالطبع ... وهم يعرفون أننا هنا ...

وعلا صوت الطائرة ... واقترب شيئًا فشيئًا من الجزيرة ... والثلاثة يتطلَّعون إليها لتُنجدهم، وتحملهم إلى أقرب مطار ...

وعندما رأوها تُحلِّق فوق رءوسهم، قاموا بإدارة محرك طائرتهم ... ليلفت صوته انتباه من بها.

وهذا ما حدث بالفعل ... ولكن نتيجته كانت على غير ما توقَّعوا؛ فقد دارت الطائرة حولهم في حلقات، ثم في دورة منها ... انخفض ارتفاعها انخفاضًا كبيرًا ... وبرز من تحت جناحها الأيمن مدفع رشاش ... انهمرت منه الطلقات على رءوسهم كالسيل.

وجروا يحتمون بجناح الطائرة، غير أن «أحمد» تذكَّر أنه بذلك يعرِّضهم للإصابة والفشل، وهي فرصتهم الوحيدة في النجاة ...

وقد تصيب هذه الرصاصات خزان الوقود ... فتنفجر وهم تحتها.

وهرول الثلاثة بعيدًا عنها، عندما سمعوا من «أحمد» ذلك ... واحتمَوا بكوخهم ... ولم يتركوهم ليهنئوا به، بل أمطروه بوابل من الرصاص، نفذ معظمه إلى داخل الكوخ وكاد يصيبهم.

وشعر «أحمد» أنهم مصرُّون على اصطيادهم، وأنهم يجب أن يبتعدوا عن الطائرة؛ لأنها ستنفجر حتمًا؛ فرصاصاتهم لا تتخيَّر.

فطلب منه «عثمان» عدم التحرك ... وأن يلزم مكانه ... فليس هناك خوف من الطائرة ... فليس بها وقود ...

فقال له «أحمد»: كيف؟

عثمان: لقد كنت أزوِّدها أولًا بأول بالوقود.

أحمد: وأين باقي الوقود؟

عثمان: في السماء.

إلهام: أين؟

عثمان: فوق شجرة الموز، بعيدًا عن عبث القرود.

أحمد: إنه قد ...

عثمان: قد ينفجر فيهم ...

ودوَّى صوت انفجار مروِّع ... أعقبه انفجار آخر ...

ومن الكوخ، ومن تحت أفرع أشجار الموز.

خرج الشياطين الثلاثة ... ليرَوا أكثر المشاهد إثارة ...

فأشلاء الطائرة تطير في الهواء في أكثر من اتجاه ...

وتتساقط على أركان الجزيرة، فتضرم النار في أغصان الأشجار الجافة ...

ويشتعل حزام نار يحيط بالجزيرة من كل اتجاه ...

وتُحرِّكه الرياح إلى الداخل ... ممَّا يدل على أنها ستتحوَّل إلى فرن، وليس لهم نجاة منه إلا بالفرار ...

ولكن أين؟ وكيف؟

واتجهت أنظار «إلهام» و«عثمان» إلى «أحمد»، الذي شعر بخطورة المهمة الملقاة على عاتقه ...

فتركهم ... وجلس بعيدًا عنهم ... يسند رأسه على كفه وهو ينظر للطائرة ... ثم قال لـ «عثمان»: اخلع معي الإسفنج الصناعي المحشو به مقاعد الطائرة ...

عثمان: لماذا؟

أحمد: واجمع كل الألياف الصناعية ...

إلهام: ماذا يدور في رأسك؟

أحمد: أين وعاء الوقود الفارغ؟

عثمان: موجود ...

أحمد: أحضره ...

وتنفيذًا لأوامر «أحمد»، قام «عثمان» و«إلهام» بتقطيع الإسفنج إلى قطع صغيرة، وكذلك الأقمشة الصناعية، ووضعوها في وعاء الوقود الفارغ، ثم أضرموا نارًا تحته ...

وانتظروا حتى تحوَّل كل ذلك إلى سائل، بفضل ما وضعوه من بقايا بنزين الطائرة ... وطلب منهم «أحمد» سد جميع الثغرات في جسم الطائرة من ذلك السائل ... وكانت النار التي أشعلها انفجار الطائرة قد اقتربت منهم، فطلب منهم بعد أن يفرغوا من ذلك ... أن يسحبوا معه الطائرة إلى الماء ...

لقد صنعت منها قاربًا يا «أحمد»؟ هكذا قال «عثمان».

ردَّ عليه «أحمد» قائلًا: نعم، هذا ما أقصده ...

إلهام: ولكنها تحتاج لشراع ...

أحمد: سندبِّر ذلك ... ولكن علينا الآن أن نغادر الجزيرة ...

عثمان: نعم ...

وقام الثلاثة بسحب الطائرة ... بالحبال التي وُجدت فيها ...

وساروا بها حتى وجدوا منفذًا إلى الماء لم تضطرم فيه النار ... فعبروا منه ...

وما كادت عجلاتها تدوس شاطئ البحر حتى انزلقت إلى الماء ...

فاندفع الشياطين يتسلَّقونها ... وبساق خشبية طويلة، دفعها «عثمان» بعيدا عن الجزيرة، التي تحوَّلت إلى شعلة نار واحدة ...

وانحدرت دمعة على خد «إلهام» ... كادت تدفع «عثمان» للنزول إلى الجزيرة مرةً ثانية ... لإنقاذ القرد الذي كان سببًا في التقائهم.

غير أنه تراجع عندما رآه بين يدَي «أحمد»؛ فقد كان مختبئًا في مؤخرة الطائرة.

النهاية!

عندما قرأ «قيس» الأوراق التي حصل عليها من رجل العصابة، وجد بينها عقد اتفاق وقَّعته زوجة السيد «أدهم» مع السيد «قاسم» معاونه وكاتم أسراره ... ينص على أن يعاونها السيد «قاسم» في بيع كل ممتلكاته داخل مصر، وسحب جميع أرصدته من البنوك؛ لأنه الوحيد الذي لديه توكيل عام منه ... يمكنه بمقتضاه التصرف على هذا النحو؛ وذلك مقابل حصوله على نسبة تعادل عشرة بالمائة من مجموع ثروته، التي تفوق المليار جنيه في مصر والولايات المتحدة.

وقد وقَّع شاهدًا على هذا العقد شخص يُدعى «مايكل».

وبين الأوراق، عثر على صور لشخص يشبه إلى حد كبير السيد «أدهم».

غير أن لون عينَيه مختلف ... فالسيد «أدهم» أزرق العينَين ... والرجل أسود العينَين ...

وفي صورة أخرى، نفس الرجل يرتدي نظارةً شمسية ...

واندهش حين رآه في صورة ثالثة أزرق العينَين.

وقد عرف أنه ليس السيد «أدهم» لعدة أسباب ...

أولها: أن عينَيه تلمعان بشدة؛ ممَّا يدل على أنه يرتدي عدسات لاصقة ... والدليل الآخر على ذلك هو الاحمرار الشديد الذي رآه في عينَيه ...

وارتداء النظارة الشمسية أيضًا كان بسببها.

وهنا، اتضح لـ «قيس» سبب مقتل «قاسم» ...

فبعد أن نفَّذ لهم كل ما طلبوه منه ... حان بينهم وقت الحساب.

فحصل على نصيبه من خيانته للرجل الذي وثق به ... على رصاصتَين ... وميتة مهينة.

وبعد أن عرف «قيس» بما في الأوراق ... استدعى الرجل، وعقد معه اتفاقًا ... على أن يقوم هو بملازمة رجل العصابة الذي ينتظره في المطار ... ولا يتركه أبدًا، وبذلك يضمن له ألَّا يفجِّر القنبلة التي فوق ذراعه؛ لأنه في هذه الحالة سينفجر معها ... وبذلك يضمن أن يرحل إلى مصر، وتضمن المنظمة ألَّا تنفجر القنبلة في المطار.

وبعد هذا الاتفاق، قام «قيس» بالاتصال بقيادة المنظمة، وشرح لهم الموقف بكل أبعاده، وأخبرهم بما يراه من حل، وطلب منهم الاتصال بالسلطات الأمنية وعمل اللازم.

وبعد دقائق، اتصل به مسئول أمني كبير، فحيَّاه على شجاعته، وطلب منه استكمالًا للخطة ... أن يدخر الرجل بعض الوقت لضرورات أمنية يراها، وبعدها عليه أن يوصله إلى المطار.

واستدعى «قيس» الرجل ... وفتح له باب السيارة، وسمح له بركوبها.

وأمر السائق بالتوجه إلى المطار ... وسأل الرجل عن ميعاد قيام طائرتهم، فعرف أنه بعد نصف ساعة ...

فرأى أن الوقت مناسب الآن للوصول إلى المطار ... وبمجرد وصول السيارة إلى صالة المغادرة ... فتح رجل العصابة الباب ... وغادرها جريًا إلى صالة السفر ... فعبر البوابة الإلكترونية جريًا.

فعلا صفير آلة كشف الأسلحة والمتفجرات، وأُعلنت حالة الطوارئ بالمطار ...

وعندما حاصر رجال الأمن رجل العصابة، كشف لهم عن ذراعه ...

فتراجع الجميع حين رأَوا القنبلة ...

وعن بعد لمح زميله ... فجرى إليه، وتأبَّط ذراعه، ولم يتركه.

وأشار بيده طالبًا أحد رجال الأمن.

وعندما اقترب منه، طلب منهم أن تُقلَّهما طائرة خاصة إلى خارج البلاد ...

فطلب منه منحه بعض الوقت، ليعرض ذلك على رؤسائه.

وبعد حوالي ثلث الساعة ... أخبرهما الضابط أن القيادات الأمنية وافقت على طلبهما، وعليهما التوجُّه إلى أرض المطار ...

وبجوار البوابة الداخلية لصالة السفر، أوقفت سيارة تنتظرهما، لتحملهما إلى الطائرة.

وبعد حوالي كيلومتر، توقَّفت السيارة بجوار طائرة تستعد للإقلاع، وانطلقت السيارة بمجرد نزولهما منها ...

وبمجرد انطلاق السيارة ... تحرَّكت الطائرة قبل أن يركب الرجلان ... وحاولا اللحاق بها، والتعلُّق بعجلاتها قبل أن تطير، فلم يتمكَّنا.

فأخذا يصرخان، ويهدِّدان، ويتوعَّدان بتفجير المطار كله ...

ولشدة فزعهما، أمسكا بخناق بعضهما ... وكانت هذه هي اللحظة المناسبة ...

فأشار أحد الضباط بإبهامه، ومن برج المراقبة، انطلقت رصاصة ما أصابت رجل العصابة في ذراعه ... أعقبها انفجار شديد، تناثرت معه جثتاهما ...

وعبر التليفون المحمول، أخبر «قيس» زملاءه بما حدث ... فأخبروه بأن «أحمد» و«إلهام» و«عثمان»، قد عثرت عليهم سفينة صيد، وهم في طريقهم إلى مصر ...

أمَّا لماذا أخذهم معه شبيه «أدهم»؟ فلأنه خاف أن يفتضح أمره في المطار ... ويقبض عليه، ولم تكن أمامه وسيلة غير الخروج في حماية الشياطين.

هنداوي